مجلة القرطاس
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مجلة علمية محكمة نصف سنوية

ظاهرة الاستشراق: الغرب عقلٌ مفكّر، الشرق مفكّرٌ فيه - دراسة تحليلية نقدية-

عامر ضيف الله
جامعة محمد لمين دباغين- سطيف الجزائر
ameurdifallah1@gmail.com
https://orcid.org/0009-0000-2375-0259
تاريخ الارسال 2026/7/22م تاريخ القبول 2026/8/21م

The Phenomenon of Orientalism: The West as the Thinking Mind and the East as the Object of ThoughtA Critical Analytical Study-

Ameur DIFALLAH
ameurdifallah1@gmail.com
University of Mohamed Lamine Debaghine – Séti02Algeria

Abstract

This article provides a comprehensive study of Orientalism, tracing its development from the Middle Ages to the present. It combines historical and theoretical perspectives to examine Western representations of the East and the construction of knowledge about it.

The study follows the development of Orientalism from medieval Europe through the Renaissance and Enlightenment, highlighting its connection to nineteenth-century colonial projects and Edward Said's critical reassessment in the twentieth century, which contributed to the emergence of postcolonial approaches.

It also examines critiques of Orientalism and criticism of its critics, both within Arab and Islamic thought and among Western scholars. By comparing these perspectives, the article highlights the shift from

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2026. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

criticizing Orientalist discourse to questioning the approaches that challenged it, revealing the complexity of the debate over its limits, methodologies, and implications

Keywords: Orientalism, the West, the East, Eurocentrism, Colonialism, Hegemony.

الملخـــــــــص:

تقــدّم هذه المقالة دراسةً شاملة لمفهوم الاستشراق، متتبّعةً جذوره منذ العصور الوسطى وصولًا إلى تجلّياته المعاصرة. ومن خلال الجمع بين المنظورات التاريخية التي ترصد تصوّرات الغرب عن الشرق، والرؤى النظرية التي تفحص كيفية بناء المعرفة وتأويلها، تتناول الدراسة مراحل زمنية مفصلية في تطوّر هذا المفهوم.

فمن بداياته الأولى في أوروبا الوسيطة، المتأثرة بالترجمات المبكرة للنصوص الكلاسيكية التي تناولت الشرق، تطوّر الاستشراق خلال عصري النهضة والتنوير. وفي القرن التاسع عشر، ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمشاريع الاستعمارية، مما أسهم في تشكيل الرؤية الغربية تجاه الشرق. ثم جاء إدوارد سعيد في القرن العشرين ليطرح مراجعة نقدية عميقة لهذا المفهوم، فاتحًا المجال أمام تعددية الأصوات وظهور المقاربات ما بعد الكولونيالية.

غير أن مسار النقد لم يتوقف عند نقد الاستشراق ذاته، بل امتدّ إلى مراجعة الانتقادات التي وُجّهت إليه، إذ كشفت الدراسات اللاحقة عن وجود ملاحظات واعتراضات على بعض أطروحات نقّاد الاستشراق، سواء من داخل الفكر العربي والإسلامي أو من جانب الباحثين الغربيين. ومن خلال تتبّع هذه المواقف ومقارنتها، يتضح أن الجدل حول الاستشراق انتقل من مساءلة الخطاب الاستشراقي إلى مساءلة الخطابات النقدية التي واجهته، بما أفضى إلى نقاش أكثر تعقيدًا حول حدود هذا النقد ومناهجه ونتائجه.

الكلمات المفتاحية :الاستشراق، الغرب، الشرق، المركزية الأوروبية، الهيمنة، الكولونيالية .

المقدمة:

يُعدّ الاستشراق من أبرز الظواهر الفكرية والثقافية التي ارتبطت بتاريخ العلاقة بين الشرق والغرب، إذ مثّل إطارًا معرفيًا انشغل من خلاله الفكر الغربي بدراسة الشرق، ولا سيما العالم العربي والإسلامي، والتعرف إلى لغاته وأديانه وتاريخه وثقافاته ومجتمعاته. وقد تشكّل هذا الاهتمام في سياق تاريخي وفكري اتسم بصعود المركزية الأوروبية، التي أسهمت في بناء تصور للغرب باعتباره مركزًا للمعرفة

والتقدم والحضارة، وفي النظر إلى الشرق بوصفه آخرًا مختلفًا عنه. ومن هنا لم تقتصر العلاقة بين الطرفين على الاتصال والتبادل الحضاري، وإنما ارتبطت أيضًا بعمليات متواصلة من التعرف إلى الآخر ووصفه وتصنيفه وتمثيله.

وفي ظل هذه السياقات، مرّ الاهتمام الغربي بالشرق بمراحل تاريخية متعاقبة؛ بدأت إرهاصاته الأولى في العصور الوسطى، حيث ارتبطت بدرجة كبيرة بالسياقات الدينية والجدل بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي، ثم تطور خلال النهضة الأوروبية مع تنامي الاهتمام باللغات والنصوص الشرقية، واتخذ في عصر التنوير أبعادًا أكثر انتظامًا مع تطور الدراسات المقارنة والتصنيفية. ومع إنشاء المؤسسات والمراكز العلمية المتخصصة، وتطور حركة الترجمة وجمع المخطوطات ودراسة اللغات الشرقية، انتقل الاستشراق تدريجيًا إلى حقل أكاديمي ومؤسساتي أكثر تنظيمًا. ثم تداخل، في مراحل لاحقة، مع التوسع الأوروبي والمشروع الاستعماري، الأمر الذي جعل المعرفة بالشرق مرتبطة، في بعض السياقات، بمصالح سياسية وإدارية واستراتيجية، وأثار إشكالية العلاقة بين إنتاج المعرفة وممارسة السلطة.

ولم تقتصر أهمية الاستشراق على إنتاج المعرفة حول الشرق، وإنما امتدت إلى كيفية تمثيله داخل الدراسات والكتابات الغربية. فقد أسهمت بعض الكتابات الاستشراقية في إنتاج صور وتمثيلات متباينة، ارتبط بعضها بنظرة سلبية إلى الشرق، وأسهمت في تقديمه بوصفه آخرًا مختلفًا عن الغرب. الأمر الذي جعل مسألة تمثيل الشرق من القضايا الأساسية في نقد الخطاب الاستشراقي.

وقد أفضى ذلك إلى ظهور اتجاهات نقدية متعددة سعت إلى مساءلة الاستشراق والكشف عن أسسه وحدوده. ويأتي إدوارد سعيد في مقدمة أبرز المنتقدين، خاصة من خلال كتابه Orientalismالصادر سنة 1978، حيث تناول الاستشراق بوصفه خطابًا ساهم في إنتاج معرفة وتمثيلات معينة عن الشرق، وربط بين المعرفة والسلطة وعملية تمثيل الآخر. وإلى جانب النقد السعيدي، ظهرت إسهامات متعددة في النقد العربي والإسلامي للاستشراق، اختلفت في منطلقاتها ومواقفها، وسعت إلى مناقشة صورة الإسلام والعالم العربي والإسلامي في الكتابات الغربية، والكشف عن بعض الأحكام والتعميمات التي رأت أنها شابت جانبًا من الدراسات الاستشراقية.

غير أن نقد الاستشراق لم يكن بدوره بمنأى عن النقد والمراجعة؛ فقد وُجهت إلى إدوارد سعيد انتقادات تتعلق بالتعميم، وبالنظر إلى الاستشراق باعتباره منظومة متجانسة، وبالتركيز على علاقته بالاستعمار على حساب بعض جوانبه العلمية والمعرفية. كما وُجهت انتقادات إلى بعض الاتجاهات العربية والإسلامية الناقدة

للاستشراق، خاصة عندما تعاملت معه باعتباره ظاهرة واحدة ذات أهداف موحدة، دون التمييز الكافي بين مراحله ومدارسه واتجاهاته المختلفة. ومن ثم انتقل النقاش من نقد الاستشراق إلى نقد نقاد الاستشراق، بما أتاح إعادة النظر في مختلف المواقف والافتراضات التي حكمت هذا الجدل.

وعليه، تتمثل إشكالية الدراسة في التساؤل الآتي: كيف تشكل الخطاب الغربي حول الشرق، وكيف أسهمت السياقات الفكرية والأكاديمية والاستعمارية في بناء تمثيلاته، وما مدى نجاح النقد السعيدي والعربي والإسلامي في تفكيك هذا الخطاب، وإلى أي حد استطاعت الانتقادات الموجهة إلى نقاد الاستشراق إعادة النظر في أطروحاتهم وتقديم قراءة أكثر توازنًا للاستشراق؟

أهداف الدراسة :

-تهدف الدراسة إلى:

-التعريف بمفهوم الاستشراق وتتبع تطوره التاريخي .

-تحليل تمثيل الشرق في الدراسات الغربية .

-دراسة النقد السعيدي والنقد العربي والإسلامي للاستشراق .

-الوقوف على الانتقادات الموجهة إلى نقاد الاستشراق.

المنهج المتبع :

-المنهج التاريخي :لتتبع نشأة الاستشراق وتطوره عبر مراحله المختلفة.

-المنهج الوصفي :لوصف مفهوم الاستشراق وتمثيلات الشرق في الدراسات الغربية.

-المنهج التحليلي :لتحليل الخطاب الاستشراقي ومناقشة مضمونه وتمثيلاته.

-المنهج النقدي :لمناقشة نقد الاستشراق والانتقادات الموجهة إلى نقاده .

أولًا ـ لاستشراق ـ المفهوم والتعريف:

1. المفهوم اللغـــــوي:

إن كلمة الشرق تحمل مدلولا لغويا، اذ يتمركز المعنى الحقيقي لاصل كلمة orient في اللغات الاروبية الثلاث باستخدامه في الدلالة العلمية من خلال طلب المعرفة والإرشاد، في منطقة معينة، ومن هنا وصفها بالشرق تعني بالدرجة الأولى المنطقة التي اشرقت فيها شمس المعرفة .(محمدالامين، 1997ص15)

يرجع أصل اسم الشرق إلى الكلمة اللاتينية orientis التي تعني الشروق أو الارتفاع. والمعنى الشائع لكلمة الشرق هو الجهة التي تشرق منها الشمس عند الأفق، أي الاتجاه الذي تُرى فيه الشمس عند طلوعها. (Gattel ,75,p.1813)

أيضا مصطلح "الاستشراق" مشتق من كلمة "Oriental" التي كانت تاريخيًا تشير إلى مناطق آسيا والشرق الأوسط، بما في ذلك الهند، الصين، بلاد فارس، والعالم العربي (Vorderstrasse, 2023, p. 2).

يوضح لنا ابن منظور ان لفظ الشرق يدل على الجهة التي تشرق منها الشمس ويقال شرقت الشمس أي طلعت وظهرت، ومنه سمي المشرق نسبة لمكان الشروق، ويستعمل للتعبير عن الاتجاه نحو الشرق او الوصول اليه، وكل ما يظهر من الشرق، سواءا كان الشمس او القمر او النجوم يقال انه شرق (ابن منظور،2005ص303) .

أما في المعجم الوسيط فان لفظ الشرق شرقت الشمس شرقا وشروقا أي طلعت، بمعنى انارت واضاءت كما يمكن ان تشير الى الناحية الشرقية لاي مكان (إبراهيم مصطفى وآخرون، 2004، ج. 1، ص.480)

لودرسنا مصطلح الاستشراق بمختلف دلالاته، لاتضح لنا انه يقوم على علاقة تقابلية مع موضوعه، أي مع الشرق، ويمكن حصر هذه الدلالات في ثلاث مستويات، فاولها المعنى الجغرافي، في اصله مشتق من الشرق، أي جهة شروق الشمس، او المنطقة الواقعة في الجهة التي تشرق منها الشمس بالنسبة الى الغرب الاروبي، ومن هنا يتجلى التطابق الجغرافي الذي يبنى عليه المفهوم في أساسه الأول(الجابري،2009،ص10).

2.المفهوم الاصطلاحي

تناول عدد من الدراسين لمفهوم الاستشراق باعتباره اتجاه فكري اهتم بدراسة الشرق الإسلامي من جوانبه المتعددة من لغة وثقافة ودين وحضارة و آداب، وكان لهذا الاتجاه دور هام في تكوين الرؤية الغربية تجاه العالم الإسلامي، مبيننا لخلفية الصراع الحضاري بين الشرق والغرب.(أبو خليل،1995ص5) .

يعرف ادوارد السعيد الاستشراق "أسلوب في التفكير قائم على تمييز أنطولوجي وإبستمولوجي بين الشرق والغرب". (Said, 2003, p. 2)

"مؤسسة جماعية للتعامل مع الشرق، وذلك عبر إصدار أحكام عنه، وإضفاء الشرعية على تصورات معينة حوله، ووصفه، وتدريسه، واستيطانه، والسيطرة عليه. وباختصار، هو أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة تشكيله، وفرض السلطة عليه."(Said, 2003, p. 3.

ويُعرّفه محمد الدّعمي بأنه "منظور غربي معروف ذي طابع فكري وسياسي وثقافي حول تاريخ شعوب الشرق. وقد ظهرت هذه الظاهرة بوصفها نتاجًا للمفكرين، في ارتباطها بقوة المعرفة، خلال الحقبة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية" .(Al-Da'mi, 1998).

أما رودي بارت فيرى أن "الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة. واقرب شيئ اليه اذن ان نفكر في الاسم الذي اطلق عليه.كلمة استشراق مشتقة من كلمة شرق وكلمة شرق تعنى مشرق الشمش، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، او علم العالم الشرقي". (بارت، 2011، ص. 17)

ويشيرأحمد حسن الزيات في تعريفه للاستشراق "يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق واممه ولغاته وادابه وعاداته ومعتقداته، واساطيره ولكنه في العصور الوسيطية كان يقصد به دراسة العبرية لعلاقتها بالعلم، اذ بينما كان الشرق من ادناه الى أقصاه معمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم، كان الغرب من بحره الى محيطه غارقا في غياهب الجهل الكثيف و البربرية والجموح". (الزيات، د.ت.، ص. 512)

ويتطرق محمد عبد الغني حسن لعلم الشرق قائلا "الاستشراق هو اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضاراته وفلسفاته واديانه وروحانياته واثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعام كله". (حسن، 1965، ص. 89)

ثانيًا ـ المركزية الأوروبية وبدايات الاهتمام بدراسة تاريخ وحضارة الشرق:

1.المركزية الاروبية :

من الضروري، قبل مناقشة قضايا المركزية الأوروبية بالتفصيل، أن نعود إلى جذورها التاريخية ونبحث في السياق الذي نشأت فيه. فهذا الإطار الحضاري الذي تكوّنت داخله هو الذي شكّل أسسها الفكرية وحدّد اتجاهاتها. ومن خلال فهم هذا البعد التاريخي يمكننا إدراك مجموعة من القضايا التي تساعدنا على استيعاب هذه النزعة وفهم أبعادها وآفاقها بشكل أعمق (تيزيني، 1987ص 191) .

تكوّنت الثقافة الأوروبية التي ستصبح لاحقًا مهيمنة عالميًا عبر مرحلتين. في المرحلة الأولى، وحتى القرن السادس عشر (عصر النهضة)، كانت أوروبا جزءًا من فضاء متوسطي إقليمي يضم المجتمعات الأوروبية والعربية والمسيحية. أما المرحلة الثانية، فارتبطت بظهور الرأسمالية وانتقال مركز القوة إلى أوروبا الغربية المطلة على الأطلسي، فتغيّر ميزان القوى العالمي. وفي هذا السياق نشأت فكرة تعتبر ان أوروبا أصل الحضارة ومصدر التقدم، مؤسِّسةً لتمركزها الأوروبي في

النظام العالمي الحديث.(امين،1989ص75-76) .كما يفرض التفكير الأوروبي ثنائيات مبسطة، حيث يُعتبر أوروبا دائمًا نموذجًا، بينما يُغتَرب غير الأوروبي ويُفترض أنه أدنى: "أممنا، قبائلهم، دياناتنا، خرافاتهم، ثقافتنا، فولكلورهم، فننا، مصنوعاتهم (Shohat & Stam, 1994:2).

وقد شهدت الدراسات المعاصرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية اهتمامًا متزايدًا بما يُعرف بـ المركزية الأوروبية، وهي الرؤية التي تجعل من التجربة الأوروبية معيارًا عالميًا لقياس التطور الحضاري والمعرفي. وقد ارتبطت هذه الرؤية تاريخيًا بتشكّل المؤسسات الأكاديمية الحديثة في أوروبا ، حيث أصبحت الجامعة الغربية فضاءً رئيسيًا لإنتاج المعرفة وتحديد معاييرها المنهجية والنظرية. وفي هذا السياق، لم تقتصر الجامعات الأوروبية على تطوير العلوم داخل المجال الأوروبي فحسب، بل أسهمت أيضًا في تصدير النموذج المعرفي الأوروبي إلى مختلف أنحاء العالم .

وفي هذا السياق يقول: رامون غروسفوغِل.Ramón Grosfoguel الجامعة الغربية آلة لإنتاج الجماعي للتمركز الأوروبي المعرفي.(Grosfoguel, 2016:29) "

فالجامعة الغربية تعتبر مؤسسة عالمية تنشر المعرفة الأوروبية ليس في أوروبا فقط بل في العالم كله، مثل داكار وبوينس آيرس ونيو دلهي ومانيلّا ونيويورك وباريس والقاهرة (Grosfoguel, 2016:30) ، ان غالبية النظريات في العلوم الاجتماعية اليوم تأتي من خمسة دول غربية: الولايات المتحدة، فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، والمملكة المتحدة. هذا يخلق " تمييز معرفي"، اذ ان المعارف غير الأوروبية أقل شأنًا. (Grosfoguel, 2013 :75) حتى في الفلسفة والعلوم الإنسانية، تستمر الهيمنة الأوروبية والبياض في الأكاديميات، يؤدي هذا إلى تهميش فلسفة وفكر الباحثين من الأقليات، مع افتراض أن الفلسفة البيضاء هي العالمية والمركزية .(Yancy, 2004)هذه الثنائية بين الأبيض الجيد والأبيض السيء تستمر في تدعيم الهيمنة، خاصة داخل المؤسسات الأكاديمية.(Daniels, 1997)

وفي مقابل ذالك شكل الإرث الاستعماري مفهوما جديدا عن المركزية الاروبية اذ يتبين لنا ان الخطاب الاستعماري هو تصوير المستعمرين على أنهم أنماط منحطة استنادًا إلى الأصل العرقي لتبرير الغزو وإقامة أنظمة الإدارة (Bhabha, 2014:103).ويعمل الحكم الاستعماري كآلة للسلطة، إذ يصوغ المستعمرون مفهومًا عن المستعمرين من خلاله يتم تفويض حكمهم، وإرساء الفروقات العرقية، وإنتاج المستعمرين كمعرفة كاملة.(Williams, 1997:123)

مع الاستعمار، تم قمع إنتاج المعرفة وأساليب المعرفة الأصلية، وفُرضت أساليب المعرفة الأوروبية على المستعمرين. كما صارت الثقافة الغربية جذابة، حيث منح التعليم المقتصر على القلة النخبوية في البلدان غير الأوروبية وصولاً للسلطة، فصارت الثقافة الأوروبية نموذجًا يُحتذى به .(Quijano, 2007:169)

2.البدايات الأولى في القرون الوسطى :

كانت المرحلة المبكرة من الاستشراق، التي تعود إلى العصور الوسطى، مدفوعة أساسًا بدوافع دينية، فقد أدت الحروب الصليبية، التي مثّلت صراعًا طويل الأمد بين العالمين المسيحي والإسلامي، إلى إثارة الفضول والقلق لدى الغربيين تجاه الإسلام. وخلال هذه الفترة، ركّز الاستشراق على دراسة النصوص الدينية الإسلامية، مثل القرآن الكريم والحديث النبوي. ومن أبرز الشخصيات في المرحلة المبكرة من الاستشراق بطرس المبجل Peter the Venerable، وهو راهب مسيحي في القرن الثاني عشر أمر بترجمة القرآن الكريم ونصوص إسلامية أخرى إلى اللاتينية،(Mudzakkir et al :2024 :p53.) وقد تجلّت هذه الظاهرة في المجال الإسباني؛ ففي القرن الثاني عشر ظهر على التراب الإسباني أول معجم لاتيني-عربي، بما يعكس بدايات اهتمام علمي منظم باللغة العربية. ثم تعزّز هذا التوجه في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، حيث بذل رايموندوس لالوس Raymond Lull، المولود في جزيرة ميروقة، جهودًا معتبرة لإنشاء كراسٍ متخصصة لتدريس اللغة العربية، مستندًا إلى تكوين تلقّاه على يد معلم عربي (بارت2011،ص14) .وهذا كله في إطار تعزيز مشروعه الفكري والحجاجي. ويعبر العالم التركي خليل إنالجيك عن رأي قريب من هذا المنهج، مشيرًا إلى أن "الاستشراق بدأ مع الدراسات العربية ودراسة النصوص العربية باستخدام مناهج تأويلية"(İnalcık,2002 ,p22 .)

3.من عصر النهضة الى التنوير:

في عصر النهضة، كان الاستشراق معرفيًا أكثر منه سياسياً؛ كان الهدف الأساسي هو جمع المعرفة وتطوير العلوم.

شهدت أوروبا خلال عصر النهضة (القرن 14–16م) انفتاحًا معرفيًا غير مسبوق على ثقافات الشرق، خاصة العربية والفارسية. وقد تمثل هذا الانفتاح في الترجمة المنظمة للعلوم والفلسفة والطب من العربية إلى اللاتينية، مما ساعد في نقل المعرفة الطبية والفلسفية والفلكية إلى الجامعات الأوروبية ,Kircher(1678

وقد لعبت حركة الإنسانية الأوروبية (Humanism) دورًا رئيسيًا في تشجيع دراسة النصوص الشرقية ليس فقط للعلوم، بل أيضًا للأدب والفن، مع محاولة فهم المنطق الشرقي والفلسفي بعيدًا عن السياق الديني المسيحي.(Grafton,1992:78-81)

تميز هذا النوع من الاستشراق بكونه معرفيًا وبحثيًا، قائمًا على الفضول العلمي أكثر من أي دوافع سياسية أو استعمارية، وهو ما يميّزه عن الاستشراق الحديث الذي بدأ يتبلور في القرن 18 و19 .(Said, 1978) كما ساهمت الترجمة في نقل المعرفة الكلاسيكية الإسلامية إلى أوروبا، بما في ذلك أعمال ابن سينا والرازي والفارابي، لتصبح جزءًا من المناهج العلمية الأوروبية فيما بعد.(Gutas, 2001)

أما عصر التنوير، الذي اتّسم بالاحتفاء بالعقل والمعرفة والتقدّم، فقد شهد تصاعدًا واضحًا في انخراط الغرب مع الشرق، في سياق التوسّع الأوروبي والاحتكاك المباشر بالمجتمعات الشرقية. وفي هذا الإطار، برز فولتير Voltaire، الذي عكست كتاباته اهتمامًا بالثقافة الشرقية، كما ناقش فكرة الاستبداد المستنير التي ارتبطت بتصوّرات الغرب عن الشرق. وفي بريطانيا، لعب ويليام جونز William Jones دورًا محوريًا في تطوير دراسة اللغات الهندية وآدابها، مما أسهم في تعزيز التبادل العلمي ونشر المعرفة حول الثقافات الشرقية (Voltaire,1769;Jones,1786). وقد ساعدت هذه الجهود في بناء فهم أعمق وأكثر دقة للشرق خلال عصر التنوير، إلى جانب تطوير أسس نظرية للاستشراق(Lennon, 2004, p. 59) .

في القرن السابع عشر، شهدت أوروبا اهتمامًا متزايدًا بالدراسة المنهجية وتوثيق معلومات عن الشرق، مما أدى إلى نشر العديد من الترجمات والقواميس والموسوعات التي تقدم معلومات مفصلة عن الحضارات الشرقية. ومن أبرز الشخصيات في هذا التيار الفكري كان المستشرق الفرنسي بارتليمي ديربلو (1625–1695)، المعروف بمشروعه الموسوعي بعنوان كتب الشرق. وقد كرس معظم حياته لتجميع موسوعة ضخمة أطلق عليها اسم Bibliothèque Orientale أو القاموس الشامل. واعتُبر هذا العمل بمثابة مستودع موسوعي للمعرفة حول العالم الإسلامي، شمل مجموعة واسعة من المواضيع مثل التاريخ، والأدب، والجغرافيا، والدين، والثقافة، مع التركيز على الحضارات العربية والفارسية والتركية (Atasever,2009 : 33-34).

4.التحول الأكاديمي والمؤسساتي للاستشراق :

يُعد أواخر القرن الثامن عشر، الفترة التي بادرت فيها الحكومة الثورية في باريس بتأسيس مدرسة متخصصة في اللغات الشرقية، حيث انصب اهتمامها أساسا على البعد العلمي التطبيقي، مركزة على دورها في تطوير الادب والمعرفة .(زقزوق،1989،47)

ويعود نشر أول الدراسات الشاملة حول مراكز البحث الاستشراقية الأوروبية إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر. ففي عام 1784، أسست بريطانيا العظمى الجمعية الآسيوية الملكية للبنغال في كالكوتا، وهو ما مثل بداية الدراسات الاستشراقية المؤسسية في الإمبراطورية البريطانية. تلتها فرنسا بإنشاء الجمعية الآسيوية في باريس عام 1821، بينما افتتحت بريطانيا مركزًا رئيسيًا آخر هو الجمعية الآسيوية الملكية لبريطانيا العظمى وأيرلندا عام 1823.وخلال هذه الفترة، سعت فرنسا المنافس الرئيسي لبريطانيا في الصراع العالمي على -الهيمنة - إلى تعميق معرفتها بالشرق، لا سيما الشرق الأدنى. ففي عام 1798، وخلال حملته على مصر، أحضر نابليون بونابرت فريقًا من 165 عالمًا ومهندسًا وفنيًا وعالم آثار ولغويًا إلى الإسكندرية. وبمبادرة فرنسية، تأسس معهد مصر (Institut d'Égypte) في القاهرة، الذي أصبح مركزًا حيويًا لدراسة التاريخ واللغة والثقافة المصرية(Ruzibaev, 2025, p.24)

لعبت هذه الجمعيات دورا هاما في اصدار المجلات والمطبوعات. وأول مجلة أكاديمية مخصصة للدراسات الاستشراقية بعنوان Fundgruben des Orients (مصادر الشرق) نُشرت بين 1815 و1818 في فيينا على يد جوزيف فون هامر-بورغستالJoseph von Hammer-Purgstall . ولعبت هذه المجلة دورًا محوريًا في تقدم الدراسات الشرقية من خلال تقديم المصادر الشرقية لا سيما العربية والفارسية والتركية للقراء الأوروبيين. وكان عمل هامر-بورغستال من بين أول الأعمال من نوعه، ما شكل مرحلة مهمة في مؤسسية الاستشراق كحقل علمي(. .(Ruzibaev, 2025, p. 24

وصل الاستشراق إلى مستوى جديد من الاعتراف الأكاديمي مع عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين عام 1873، ما دل على تأصيله المؤسسي الكامل في أوروبا. ووفقًا للعالمة التركية أصلي جيراقمان، يمثل الاستشراق خطابًا عبر تاريخيًا يشمل مجموعة واسعة من السياقات الجغرافية والثقافية، بما في ذلك آسيا، والصين،

والهند، ومصر، وتركيا، والشرق الأدنى، وإيران، وشمال إفريقيا Cırakman, (2002, p. 187)

5. الاستشراق في السياق الاستعماري:

شهد الاستشراق تحولًا نوعيًا مع بداية العصر الحديث، حيث انتقل من كونه اهتمامًا معرفيًا ذا طابع ديني ولغوي إلى أداة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمشروع الاستعماري الأوروبي. ففي حين انشغل المستشرقون الأوائل بدراسة اللغات الشرقية والنصوص الدينية بدوافع لاهوتية أو علمية، فإن القرن الثامن عشر والتاسع عشر مثّلا نقطة انعطاف حاسمة، إذ تزامن تطور الدراسات الاستشراقية مع توسع الإمبراطوريات الأوروبية في آسيا وإفريقيا، الأمر الذي جعل المعرفة المنتَجة حول الشرق جزءًا من آليات السيطرة الاستعمارية.(Said, 1978)

وفي هذا السياق، لم يعد الاستشراق مجرد حقل أكاديمي محايد، بل أصبح كما يذهب إدوارد سعيد Edward Said خطابًا معرفيًا يتقاطع مع السلطة، حيث أسهم في بناء صورة نمطية عن الشرق بوصفه فضاءً جامدًا ومتخلفًا، يحتاج إلى تدخل الغرب المتحضر لإصلاحه وإدارته. وقد أدت هذه التصورات إلى تبرير الهيمنة الاستعمارية، ليس فقط سياسيًا وعسكريًا، بل أيضًا ثقافيًا وفكريًا، من خلال فرض نماذج غربية في الحكم والتعليم والمعرفة.(Said, 1978)

كما ارتبطت هذه المرحلة بظهور مؤسسات علمية واستشراقية لعبت دورًا مباشرًا في خدمة المشروع الاستعماري، مثل الجمعيات الجغرافية والمدارس اللغوية والبعثات العلمية التي رافقت الحملات العسكرية. ويُعد مثال الحملة الفرنسية على مصر دالًا على هذا التداخل بين المعرفة والسلطة، حيث رافق الجيش الفرنسي عدد من العلماء الذين قاموا بدراسة المجتمع المصري من مختلف الجوانب، وهو ما مكّن السلطة الاستعمارية من فهم البنية الاجتماعية والثقافية للبلاد تمهيدًا لإخضاعها.(Mitchell, 1988)

ومن جهة أخرى، أسهم الاستشراق الاستعماري في إنتاج ما يُعرف بثنائية (الشرق-الغرب)، حيث يُقدَّم الغرب باعتباره مركز العقلانية والتقدم، في مقابل شرقٍ يُصوَّر كفضاء للعاطفة والتخلف. وقد عززت هذه الثنائية الفجوة الحضارية المصطنعة بين الطرفين، ورسّخت منطق التفوق الغربي الذي استُخدم كأداة إيديولوجية لتبرير التوسع الاستعماري .(Macfie, 2002) كما أن هذه التصورات لم تكن مجرد انعكاس للواقع، بل كانت بناءً خطابيًا موجَّهًا يخدم مصالح القوى الاستعمارية.

وعليه، يمكن القول إن مرحلة الاستشراق الاستعماري تمثل ذروة التداخل بين المعرفة والهيمنة، حيث تحولت الدراسات حول الشرق إلى وسيلة لإنتاج معرفة نافعة تخدم الإدارة الاستعمارية، وتُسهم في ضبط المجتمعات المستعمَرة وإعادة تشكيلها وفق الرؤية الغربية. وقد مهّد هذا النمط من الاستشراق لظهور دراسات ما بعد الاستعمار التي سعت إلى تفكيك هذه الخطابات وكشف أبعادها الإيديولوجية، وإعادة الاعتبار لصوت الآخر الذي تم تهميشه داخل السرديات الاستشراقية (Loomba, 2005).

ثالثا ـ الشرق كموضوع تمثيلي في الدراسات الاستشراقية :

1.الشرق كفضاء للشهوة والانوثة :

تم تصوير النساء الشرقيات في النصوص الغربية ككائنات مستعبدة، خاضعة، مثيرة، وغالبًا فاسقة جنسيًا، لتصبح جزءًا من "مكافآت الإمبراطورية" للرجال. يوضح سعيد، عند مناقشته للمرأة الشرقية في أعمال فلوبرت، وجود ارتباط شبه موحد بين الشرق والجنس، حيث تم إنشاء نموذج واسع التأثير للمرأة الشرقية التي لم تتحدث عن نفسها أو تمثل مشاعرها أو تاريخها، بل تحدث عنها الغربي القوي المهيمن (Said, 1978:187-188).

وتُبرز الدراسة التي قدتمها إنسية شعبانيراد والسيد محمد مرندي Ensieh Shabanirad and Seyyed Mohammad Marandi (2015) أن تمثيل المرأة الشرقية في الخطاب الاستشراقي، كما حلّله إدوارد سعيد، يقوم على ربطها بالأنوثة المفرطة والجاذبية الجنسية ضمن بنية معرفية استعمارية. ومن خلال تحليل رواية جورج أورويل أيام بورمية، يوضح الباحثان أن الشخصيات النسائية البورمية تُقدَّم بوصفها خاضعة، صامتة، ومجردة من الفعل، وفي الوقت نفسه تُختزل في صورة الجسد المثير والمُتاح للاستغلال الجنسي. ويؤكد هذا التمثيل أن الشرق لا يُبنى فقط كفضاء جغرافي أو ثقافي، بل يُعاد إنتاجه داخل المخيال الغربي كحيز للرغبة والشهوة والأنوثة المغرية، وهو ما يعكس تداخل السلطة الاستعمارية مع الخطاب الجنسي في تشكيل صورة الآخر الشرقي Shabanirad & Marandi, (2015).

2.الشرق كمصدر للتخلف والخطر :

وفقًا لسعيد، يقوم المستشرق بـ خلق الشرق من خلال كتاباته، مما يسهم في إنتاج سلسلة من الصور النمطية، حيث يُنظر إلى أوروبا (الغرب، الذات) على أنها عقلانية،

متقدمة، إنسانية، متفوقة، فاضلة، ، بينما يُنظر إلى الشرق (الآخر، الآخر) على أنه غير عقلاني، متخلف، استبدادي، أدنى، منحرف (Macfie, 2002:8).

ويعتقد ناش Nash أن التاريخ الشرقي أصبح أداة استخدمها الفلاسفة والأنثروبولوجيون والإثنوغرافيون الغربيون لتعزيز صورة الشرق بوصفه متوحشًا وغير متحضر (Nash, 2005). كما يرى كيرتس أن هذه التصورات أسهمت في تشكيل بعض التخصصات الأوروبية المبكرة، مثل الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، التي قامت إلى حد كبير على فكرة الاختلاف الجذري بين الثقافات (Curtis, 2009).

ويرى العلماء الاستشراقيون أن الغرب يتقدم ويتغير بينما يبقى الشرق ثابتًا في تمسكه بالتقاليد، ومن ثم يبقى متخلفًا ومدفونًا في التاريخ الوسيط (Sardar, 2002, p. 7).

كما عمل الاستشراقيون أيضا كوكالات لمصالح أسيادهم الثقافية والاقتصادية والسياسية خلال عصر الاستعمار. وقد صوروا الإمبراطوريات الشرقية، وبالأخص الثقافات الإسلامية والهندية، على أنها متخلفة، بينما حضارة الغرب متقدمة، تتحمل عبء تعليم الحضارة الشرقية. وبذلك، تم تقديم المبرر للاستعمار. وقد اتخذ الاستشراقيون نفس النظرة السلبية تجاه الإسلام والعالم الإسلامي حتى اليوم، لا سيما في أعقاب هجمات 11 سبتمبر الإرهابية(Shafiq & Khan, 2021, p. 780) .

وفقًا للدراسة التي قدمها أزاريا وآخرون Azaria et al. (2026)، فإن تمثيل الشرق في ثلاثية «سيد الخواتم» The Lord of the Rings يعكس ملامح من الخطاب الاستشراقي الذي يقوم على بناء ثنائية بين الغرب والشرق، حيث يُقدَّم الغرب باعتباره فضاءً للنظام والحضارة والقيم النبيلة، بينما يُصوَّر الشرق كمنطقة مرتبطة بالخطر والعدوانية وعدم الاستقرار. ويتجلى هذا التصور في تمثيل مناطق مثل موردور كأراضٍ مظلمة وقاحلة ترتبط بالدمار والشر، في مقابل تصوير أراضي الغرب مثل الشاير وغوندور كرموز للنقاء والخصب والاستقرار. كما تشير الدراسة إلى أن تصوير بعض الجماعات القادمة من الشرق والجنوب، مثل الهارادريم والإيسترلينغ، يتم غالبًا في إطار يوحي بالغرابة والتهديد، مما يعزز صورة الآخر الشرقي بوصفه مصدر خطر محتمل. ويؤدي هذا التمثيل السردي إلى إعادة إنتاج تصور هرمي للعالم داخل النص، يمنح تفوقًا ضمنيًا للثقافة الغربية كما ورد في تحليل الباحثين (Azaria et al., 2026).

رابعا ـ ردود الفعل ونقد خطاب الاستشراق:

1.الخطاب

يشير مفهوم الخطاب إلى مجموعة من التصريحات التي توفر لغة لتمثيل موضوع معين والتحدث عنه(Hall, 1997) يُعد الخطاب شكلًا من أشكال العمل وممارسة للتمثيل؛ فهو ممارسة ليست فقط لتمثيل العالم، بل لتكوين وبناء العالم من خلال المعنى (Fairclough, 2010:64). يرتبط الخطاب ارتباطًا وثيقًا بـ الأيديولوجيا .وفقًا ل نورمان فيركلوف (2010) Norman Fairclough، الأيديولوجيات هي بناءات للواقع مدمجة في الممارسات الخطابية (العمليات التي يتم من خلالها إنتاج النص وتفسيره واستهلاكه) وتساهم في إنتاج، إعادة إنتاج أو تحويل علاقات الهيمنة (Fairclough, 2010:36) ويعتبر فيركلوف Fairclough أن الأيديولوجيات تكون أكثر فعالية عندما تصبح جزءًا من الفطرة السليمة في المجتمع، ويرى أن البشر قادرون على تجاوز الأيديولوجيا. يعتمد ذلك على ما إذا كانت الممارسات الخطابية تحتوي على دلالات تسهم في الحفاظ على أو تغيير علاقات القوة القائمة(Fairclough, 2010:91)

2.النقد السعيدي :

يُعد كتاب الاستشراق Orientalism للمفكر والناقد الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد Edward Said من الأعمال الكلاسيكية التي أعادت النظر في الكيفية التي مثّل بها الغربُ الشرقَ عبر التاريخ. ويرى سعيد أن المفكرين والكتّاب والسياسيين الغربيين قد صاغوا صورةً مشوهةً عن الشرق، قدّموه فيها بوصفه فضاءً يتسم بالعنف والبدائية والدونية. ويؤكد أن هذا التشويه لم يكن مجرد سوء فهم ثقافي أو خطأ معرفي، بل كان نظامًا فكريًا متكاملًا وواعيًا هدف إلى إضفاء الشرعية على الهيمنة الاستعمارية والتفوق الغربي(Iftikhar & Sadia, 2025)

ولا يزال تأثير إدوارد سعيد حاضرًا بقوة في مجالات النظرية النقدية ودراسات ما بعد الاستعمار، كما تستمر أفكاره في إثراء النقاشات العالمية المتعلقة بالتمثيل الثقافي والهوية والسلطة والعلاقة بين الشرق والغرب، مما جعله أحد أكثر المفكرين تأثيرًا في الفكر الإنساني المعاصر.

وجاء تأليف الكتاب أيضًا في سياق التحولات التاريخية والسياسية الكبرى التي شهدها القرن العشرون، ولا سيما تصاعد حركات التحرر الوطني واستقلال الدول التي كانت خاضعة للاستعمار الأوروبي. ففي ظل هذه التحولات، رأى سعيد ضرورة مراجعة الأسس الفكرية التي استندت إليها الهيمنة الاستعمارية، والعمل على تقديم

رؤية نقدية جديدة للعلاقة بين الشرق والغرب. ولذلك دعا إلى اعتماد مقاربات أكثر توازنًا ووعيًا عند دراسة الحضارات الشرقية، بعيدًا عن الأحكام المسبقة والنظرة المركزية الأوروبية(Iskandar & Rustom, 2010) .

وقد تعزز هذا الإدراك خلال أحداث حرب أكتوبر عام 1973 (Yom Kippur War)، إذ لاحظ إدوارد سعيد وجود فجوة بين الواقع الذي عايشه وبين الصورة التي كانت تقدمها وسائل الإعلام الغربية عن العرب. وقد دفعه هذا التناقض إلى التساؤل عن الكيفية التي تشكلت بها هذه الصورة في الخطاب الغربي، وهو ما شكّل أحد الدوافع الرئيسة لمشروعه الفكري الرامي إلى الكشف عن الآليات التي أنتجت تلك التمثلات ورسختها في الثقافة الغربية. (Iftikhar & Sadia, 2025).

وانطلاقًا من هذا الوعي النقدي، سعى سعيد إلى تحديد الإطار التمثيلي الذي اعتمدته الثقافة الغربية في بناء تصوراتها عن الشرق. وقد رأى أن هذه التصورات لم تكن مجرد أخطاء معرفية عفوية، بل كانت جزءًا من منظومة فكرية متكاملة تخدم أغراض السلطة الإمبريالية والهيمنة الاستعمارية. لذلك جاء كتاب الاستشراق محاولةً لتفكيك الخطاب الغربي الذي صوّر الشرق باعتباره فضاءً متخلفًا وغير عقلاني، يحتاج دائمًا إلى التدخل والتوجيه الغربيين.كما هدف سعيد من خلال هذا العمل إلى فضح التحيزات والأحكام المسبقة الكامنة في الدراسات الغربية المتعلقة بآسيا والشرق الأوسط، وإبراز العلاقة الوثيقة بين المعرفة والسلطة. فبحسب تحليله، لم تكن الدراسات الاستشراقية محايدة أو موضوعية كما تدّعي، بل أسهمت في إنتاج معرفة تخدم المصالح السياسية والاستعمارية للغرب. ولذلك كان أحد أهدافه الأساسية إزالة الأساطير والتصورات المغلوطة التي هيمنت طويلًا على الخطاب الغربي بشأن الشرق وشعوبه وثقافاته(Hussein, 2004).

ومن أبرز الأطروحات التي طرحها سعيد أن المعرفة الغربية بالشرق لم تكن معرفة محايدة أو بريئة، بل جرى إنتاجها في سياق يخدم الأهداف الإمبريالية والاستعمارية. فقد عمد المستشرقون والرحالة والموظفون الاستعماريون الغربيون إلى تقديم الشرق بوصفه الآخر المختلف، والعاجز عن إدارة شؤونه بنفسه، الأمر الذي جعل التدخل الأوروبي يبدو وكأنه مهمة حضارية تهدف إلى الإصلاح والتحديث، لا فعلًا من أفعال الهيمنة والسيطرة. وهكذا تحولت المعرفة إلى أداة لتبرير الاستعمار وإضفاء الشرعية (Mallette, 2005).

3.النقد العربي والاسلامي :

ترى الكاتبة مريم جميلة في كتابها الإسلام والاستشراق أن الاستشراق «ليس دراسة موضوعية، بلا غرض أو هوى، للإسلام وثقافته»، بل هو «مؤامرة منظمة» تستند إلى الداروينية الاجتماعية، وتهدف إلى تحريض الشباب المسلم على رفض عقيدته وتراثه وتاريخه وثقافته. ومن هذا المنطلق، تذهب إلى أن الخطاب الاستشراقي يقوم على تصورات متحيزة وعدائية تجاه الإسلام والثقافات غير الغربية، وهو ما جعله، في نظرها، أداة لتشويه صورة الإسلام بدلًا من تقديم دراسة علمية موضوعية له (سردار، 2011، ص 105–106).

أما عبد اللطيف الطيباوي، الذي يُعدّ من أبرز رواد النقد العربي والإسلامي للاستشراق، فقد قدّم في دراسته الشهيرة English-Speaking Orientalists (المستشرقون الناطقون بالإنجليزية) نقدًا منهجيًا للدراسات الاستشراقية الناطقة بالإنجليزية، مبينًا أن كثيرًا منها لم يكن بمنأى عن الأحكام المسبقة والتحيزات الفكرية. ورغم ما تتسم به هذه الدراسات من وفرة في الهوامش والمراجع والمظهر الأكاديمي، فإن الطيباوي يرى أن العديد من استنتاجاتها يقوم على التخمين والافتراض أكثر من اعتماده على الأدلة العلمية المباشرة، نتيجة سوء فهم النصوص العربية والإسلامية أو إخراجها من سياقها التاريخي والثقافي. كما شدد على أن نقده لا يستهدف التراث الاستشراقي بأكمله، وإنما يوجَّه بالأساس إلى المستشرقين المعاصرين واستمرار التقاليد الاستشراقية التي أعادت إنتاج الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في ثوب أكاديمي، داعيًا إلى الالتزام بالموضوعية والإنصاف في دراسة الحضارة الإسلامية (سردار، 2011، ص 106–107).

وفي السياق نفسه، يبرز نقد أنور عبد الملك للاستشراق بوصفه امتدادًا لمرحلة جديدة من المراجعات الفكرية التي ظهرت داخل الأوساط الأكاديمية المعاصرة. ففي مقاله الشهير «الاستشراق في أزمة » (Orientalism in Crisis) انتقد عبد الملك طبيعة المقاربة الاستشراقية التقليدية للعالم العربي والإسلامي، معتبرًا أنها ظلت مرتبطة بنموذج معرفي يركز على دراسة الشرق باعتباره موضوعًا ثابتًا وماضيًا أكثر منه مجتمعًا حيًا ومتغيرًا. ومن بين مظاهر هذا القصور، يشير إلى اهتمام الاستشراق المفرط بالماضي واللغة والدين والمخطوطات العربية، مقابل ضعف الاهتمام بدراسة الواقع التاريخي والاجتماعي والسياسي المعاصر للمجتمعات الشرقية.(Brisson, 2008,p. 508)

خامسًا ـ الانتقادات الموجّهة إلى منتقدي الخطاب الاستشراقي:

1:الانتقادات الموجهة الى سعيد:

لم يمرّ كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد دون أن يثير نقاشًا واسعًا داخل الأوساط الأكاديمية الغربية، إذ اعتبره كثير من الباحثين تحولًا بارزًا في دراسة العلاقة بين المعرفة والسلطة والتمثيلات الغربية للشرق. غير أن أطروحته لم تسلم من النقد، فقد وجّه عدد من المستشرقين والمؤرخين والمنظرين جملةً من الملاحظات المنهجية والتاريخية والنظرية، تمحورت حول تعريفه للاستشراق، ودقة معالجته التاريخية، وتوظيفه للمفاهيم الفلسفية، فضلاً عن تعميمه لأحكامه على مجمل الإنتاج الاستشراقي. وقد شكّلت هذه الانتقادات محورًا أساسيًا في النقاش الأكاديمي الذي أعقب صدور الكتاب، وساهمت في إثراء الجدل حول حدود أطروحة سعيد وإمكاناتها التفسيرية.

يرى برنارد لويس (Bernard Lewis) في كتابه «الإسلام والغرب (Islam and the West)» الصادر سنة 1993 أن الاستشراق، بوصفه تخصصًا أكاديميًا يختص بدراسة شعوب الشرق وحياتهم، لا يمكن انتقاده بوصفه حقلًا معرفيًا بأكمله، ولا سيما من قبل شخص ليس مستشرقًا في الأصل.

وفي هذا السياق ويقول لويس:

«إن أشد الانتقادات صرامةً وعمقًا للاستشراق، كما هو الحال في أي مجال علمي آخر، كانت وستظل تصدر عن زملائهم من الباحثين، ولا سيما وإن لم يكن ذلك حصريًاأولئك الذين يعملون في الحقل نفسه .(Lewis, 1993: 268)

وانطلاقًا من هذا الموقف، يرفض لويس تلقائيًا الانتقادات التي يوجهها غير المستشرقين، لمجرد أنهم لا ينتمون إلى هذا التخصص، ولذلك لا يعدّ إدوارد سعيد عالمًا في مجال الاستشراق، ويرى أن منتقدي الاستشراق من غير المتخصصين يفتقرون إلى الكفاءة العلمية والمهارات المنهجية التي تؤهلهم للحكم على هذا الحقل، وهو ما يجعل المستشرق فئةً من الأشخاص المؤهلين الذين يمتلكون الأدوات والمهارات التي تمنحهم الحق في الحديث عن الشرق والتحدث باسمه (Lewis, 1993: 257).

كما يرفض لويس الاعتراف بإدوارد سعيد بوصفه باحثًا متخصصًا، وهو موقف يتناقض مع احترامه للألقاب الأكاديمية التي يمنحها لآخرين، مثل الدكتور عبد الملك Anouar Abdel-Malek والأستاذ زكرياZakaria ، اللذين يعترف لهما بالصفة العلمية لأنهما يلتزمان بما يسميه «اللغة الأكاديمية المعروفة» (Lewis, 1993: 256–267).

ويركز جانب كبير من هجوم لويس على سعيد على محاولة إثبات وقوعه في أخطاء تاريخية، مثل تقديمه تاريخ نشأة الدراسات العربية في فرنسا على غير حقيقتها، وإغفاله إسهامات المدرسة الاستشراقية الألمانية.(Lewis, 1993: 258)

ومن جانبه، يرى فريد هاليداي (Fred Halliday) في مقاله «الاستشراق وأزمته (Orientalism and Its Crisis) الصادر سنة 1993 أن سعيد لا يزال أسيرًا للتصور الكلاسيكي للتاريخ (Halliday, 1993: 145)، وهو التصور الذي يفترض وجود حقائق موضوعية، ووجود شرق حقيقي، وأن مهمة المستشرق هي اكتشاف هذه الحقائق وتمثيلها.

اما مايكل ريتشاردسون (Michael Richardson) في مقاله «كفى حديثًا يا سعيد» (Enough Said) الصادر سنة 1990يسعى إلى الطعن في الفرضية الأساسية التي ينطلق منها سعيد، والقائلة إن الشرق بناءٌ خطابي، إذ يذهب إلى أنه إذا كان الشرق «مجرد تصور ذهني لدى الذات، فلن يكون بالإمكان الحديث عن تأثير هذا الشرق في تلك الذات » .(Richardson, 2000: 211) وبهذا الطرح يحاول فصل التمثيل عن أي ارتباط بالمشروعات الإمبريالية أو التواطؤ معها.

ومن خلال ذلك، يسعى ريتشاردسون إلى الدفاع عن أعمال المستشرقين بوصفها «تمثيلات وصفية صادقة للواقع » .فلو كان الشرق مجرد بناء متخيل، فإن الحقائق التي ينتجها المستشرقون ستصبح موضع شك كامل. ولذلك يطرح سؤالًا استنكاريًا: «بأي حق يمكن لإدوارد سعيد أن يقدم نفسه ممثلًا للشرق؟». (Richardson, 2000: 211).

2.الموجهة الى النقاد العرب والمسلمين :

يوضح توماس بريسون أن فهم النقد العربي للاستشراق لا ينبغي أن يقوم على ثنائية «العرب في مواجهة الغرب»، لأن مواقف النقاد العرب لم تتشكل خارج فضاءات المعرفة الغربية، وإنما يجب النظر أيضًا إلى البيئات الأكاديمية التي تشكلت فيها آراؤهم النقدية. ويبرز أنور عبد الملك مثالًا على ذلك؛ إذ ارتبط نقده للاستشراق بالسياق الأكاديمي الفرنسي والصراعات المنهجية التي عرفتها الدراسات العربية خلال ستينيات القرن العشرين، حيث دعا إلى تجاوز النموذج الفيلولوجي التقليدي والانفتاح على مناهج التاريخ والعلوم الاجتماعية، وانتقد تركيز الاستشراق على ماضي المجتمعات الشرقية ولغتها ومخطوطاتها على حساب واقعها المعاصر. ومن ثم، فإن نقد عبد الملك لا يُفسَّر بأصله الثقافي وحده، بل يجب فهمه أيضًا في ضوء البيئة الأكاديمية الفرنسية التي تشكل فيها (.Brisson, 2008).

أما المؤرخ الأمريكي دونالد ب. ليتل (Donald P. Little)، فيبرز في هذا السياق من خلال دراسته المنشورة سنة 1979 بعنوان «ثلاثة انتقادات عربية للاستشراق» (Three Arab Critiques of Orientalism)، التي تناول فيها مواقف عدد من النقاد العرب للاستشراق، ومن بينهم عبد اللطيف الطيباوي. وقد ركّز ليتل على مساءلة بعض افتراضات هذا النقد، ولا سيما ما يتصل بتفسير الدراسات الغربية عن الإسلام والمستشرقين انطلاقًا من خلفياتهم الدينية والسياسية، بدل تقييمها وفق المناهج والنتائج العلمية. ومن ثمّ، لم يقتصر النقاش عند ليتل على نقد الاستشراق، بل امتد إلى مساءلة منهج نقد الاستشراق نفسه والمعايير التي يعتمدها نقاده في تقويم الدراسات الغربية عن الإسلام.(Little, 1979)

وفي سياق آخر، قدّم رفات أتّاي ومريم جميلة تشيچك قراءة نقدية لبعض جوانب فكر مريم جميلة في دراستهما «تصور مريم جميلة للآخر – نموذج الفكر الغربي» (The Perception of the Other in Maryam Jameelah – The Case of Western Thought). ويرى الباحثان أن موقف جميلة من الغرب يقوم على ثنائية حادة بين الإسلام والغرب، تجعل الإسلام في موضع التفوق، بينما يتحول الغرب إلى الآخر الذي يُنظر إليه بصورة سلبية. كما ينتقدان أحكامها التعميمية على الغرب، وربطها الحداثة بالمادية والانحلال الأخلاقي والتفكك الاجتماعي، فضلًا عن اعتمادها تصورها الخاص للإسلام معيارًا للحكم على الغرب، مما يجعل المقارنة بين الطرفين غير متوازنة.(Atay & Çiçek, 2020, pp. 170–171)

الخاتمة:

من خلال دراسة ظاهرة الاستشراق وتطورها التاريخي والفكري، وتحليل تمثيل الشرق في الدراسات الغربية، والوقوف على أبرز الاتجاهات النقدية التي تناولتها، أمكن التوصل إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها:

-الاستشراق ظاهرة تاريخية وفكرية متطورة، لم تظهر بصورتها الحديثة دفعة واحدة، بل تشكلت تدريجيًا منذ العصور الوسطى وتطورت عبر النهضة والتنوير والقرن التاسع عشر.

-تكشف الدراسة أن المركزية الأوروبية جعلت الثقافة الغربية معيارًا للحكم على الثقافات الأخرى، وهو ما أدى إلى تهميش المعارف والثقافات غير الغربية.

-ارتبطت نشأة الاستشراق بالاهتمام الغربي بالشرق من خلال الترجمات ودراسة اللغات والنصوص والثقافات الشرقية، ثم انتقل هذا الاهتمام تدريجيًا إلى مؤسسات ودراسات أكثر تنظيمًا.

-شهد القرن التاسع عشر تحولًا مهمًا في مسار الاستشراق، نتيجة تزامن الدراسات الاستشراقية مع التوسع الاستعماري والإمبريالي، وهو ما جعل العلاقة بين إنتاج المعرفة عن الشرق وممارسة السلطة عليه موضع نقد.

-أظهر البحث أن المعرفة الاستشراقية أسهمت في بناء صورة للشرق من منظور غربي، اعتمادًا على ثنائية الشرق/الغرب، حيث صُوّر الغرب بوصفه أكثر تقدمًا، بينما قُدّم الشرق في كثير من الكتابات باعتباره متخلفًا وثابتًا.

-مثّل إدوارد سعيد نقطة تحول أساسية في دراسة الاستشراق، إذ نقل النقاش من دراسة الشرق بوصفه موضوعًا للمعرفة إلى دراسة الكيفية التي أنتج بها الغرب صورة الشرق وعلاقتها بالسلطة والهيمنة.

-لم يتوقف نقد الاستشراق عند سعيد، بل تطور من خلال مقاربات ما بعد كولونيالية وعربية وإسلامية، وأصبح موضوعًا لنقاش واسع حول التمثيل والهوية .

-بيّن النقد العربي والإسلامي أن بعض الدراسات الاستشراقية، رغم اعتمادها على المنهج العلمي وكثرة المصادر والإحالات، لم تكن دائمًا بمنأى عن الخلفيات الفكرية والثقافية التي شكلت نظرتها إلى الشرق.

-لم يقتصر الجدل حول الاستشراق على نقده، بل امتد أيضًا إلى انتقادات وجهت الى إدوارد سعيد والنقاد العرب والمسلمين لأطروحاتهم ومناهجهم، مما يعكس تعدد المواقف وتعقّد النقاش حول الاستشراق.

-ويمكن القول في النهاية إن أهمية نقد الاستشراق لا تكمن في رفض كل ما أنتجه المستشرقون، وإنما في إخضاع إنتاجهم للمساءلة النقدية، وتمييز المعرفة العلمية عن التصورات الأيديولوجية والسياسية التي قد ترافقها.وعليه، يظل التعامل مع التراث الاستشراقي بحاجة إلى قراءة نقدية متوازنة تستفيد من الدراسات العلمية والاستشراقية، مع مراعاة سياقات إنتاجها ومناهجها وحدودها، بدل قبولها بصورة مطلقة أو رفضها بصورة كلية.

التوصيات :

- ضرورة اعتماد مقاربة تاريخية تحليلية نقدية في دراسة الاستشراق، تراعي اختلاف مراحله ومدارسه وسياقاته التاريخية.

-تجنّب التعميم في الحكم على الاستشراق، والتمييز بين اتجاهاته ومناهجه ومواقف المستشرقين المختلفة.
-توسيع دائرة النقد لتشمل نقد النقاد أنفسهم، بما في ذلك الكتابات العربية والإسلامية، بما يسمح ببناء دراسة أكثر توازنًا وموضوعية.
-تعزيز الحوار العلمي بين الباحثين الشرقيين والغربيين، والابتعاد عن الأحكام المسبقة والصور النمطية المتبادلة.
-الاستفادة من المناهج البين-تخصصية، خاصة التاريخ والأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية والسياسية، لفهم الاستشراق بصورة أكثر شمولًا.
تشجيع الدراسات المعاصرة حول أشكال الاستشراق الجديدة في الإعلام والثقافة الشعبية والفضاء الرقمي، وعدم حصره في صورته الأكاديمية التقليدية.

بيان تضارب المصالـــح:
يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

المراجع العربية:

إبـراهيم مصـطفى، وآخـرون .(2004) .المعجـم الوسـيط (ط. 4، ج. 1). مجمـع اللغـة العربيـة بالقاهرة.
أبـو خليـل، شـوقي .(1995) .الإسـقاط فـي منـاهج المستشـرقين والمبشـرين (ط. 1). دار الفكـر المعاصر.
ابن منظور،أبوالفضل جمال الدين بن مكرم(2005) .لسان العرب (ط.3،ج10). دار صادر.
بارت، رودي .(2011) .الدراسات العربيـة الإسـلامية فـي الجامعـات الألمانيـة (مصـطفى مـاهر، مترجم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الجـابري، صـلاح .(2009) .الاستشـراق: قـراءة نقديـة (ط. 1). دار الأوائـل للنشـر والتوزيـع والخدمات الطباعية.
حسن، محمد عبد الغني .(1965) .عبد الله فكري (أعلام العـرب، العـدد 42). المؤسسـة المصـرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
الزيات، أحمـد حسـن. (د.ت.) .تـاريخ الأدب العربـي للمـدارس الثانويـة والعليـا (ط. 25، مزيـدة ومنقحة). دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
زقزوق، محمود حمدي .(1989) .الاستشراق: الخلفية الفكرية للصراع الحضـاري (ط. 2). دار المنار.
سـردار، ضـياء الـدين .(2011) .الاستشـراق: صـورة الشـرق فـي الآداب والمعـارف الغربيـة (فخري صالح، مترجم؛ أحمد خريس، مراجع). هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة.

تيزيني، طيب .(1987) .من التراث إلى الثورة: حول نظرية مقترحة في قضية التراث العربي (ط. 2). دار ابن خلدون.
النعيم، عبد الله محمد الأمين .(1997) .الاستشراق في السيرة النبوية: دراسة تاريخية لآراء وات-بروكلمان-فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية (ط. 1). المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المراجع الأجنبية

Al-Da'mi, M. A. (1998). Orientalism and Arab-Islamic history: An inquiry into the Orientalists' motives and compulsions. Arab Studies Quarterly, 20(4), 1–11.
Atasever, G. (2009). Doğu-Batı ilişkileri bağlamında oryantalizm [Master's thesis, Muğla University]. Higher Education Institution National Thesis Center.
Atay, R., & Çiçek, M. C. (2020). Meryem Cemile'nin öteki algısı: Batı düşüncesi örneği. Din ve Felsefe Araştırmaları, 3(6), 160–180.
Azaria, N. S., Sachmadi, I. F., & Maulana, S. (2026). Orientalism in The Lord of the Rings trilogy by J. R. R. Tolkien. Serat, 3(1), 1–10.
Bhabha, H. K. (2004). The location of culture. Routledge.
Brisson, T. (2008). La critique arabe de l'orientalisme en France et aux États-Unis: Lieux, temporalités et modalités d'une relecture. Revue d'anthropologie des connaissances, 2(3), 505–521.
Cırakman, A. (2002). Oryantalizmin varsayımsal temelleri: Fikri sabit imgelem ve düşünce tarihi. Doğu-Batı, (20), 181–199.
Curtis, M. (2009). Orientalism and Islam: European thinkers on Oriental despotism in the Middle East and India. Cambridge University Press.
Daniels, J. (1997). White lies: Race, class, gender and sexuality in White supremacist discourse. Routledge.
Fairclough, N. (2010). Discourse and social change. Polity.
Gattel, M. (1813). Dictionnaire de la langue française (Vol. 2). Lefèvre.
Grafton, A. (1992). New worlds, ancient texts: The power of tradition and the shock of discovery. Harvard University Press.
Grosfoguel, R. (2013). The structure of knowledge in Westernized universities. Human Architecture: Journal of the Sociology of Self-Knowledge, 11(1), 73–90.
Grosfoguel, R. (2016). The dilemmas of ethnic studies in the United States: Between liberal multiculturalism, identity politics, disciplinary colonization, and decolonial epistemologies. In R. Grosfoguel, R. Hernández, & E. Velásquez (Eds.), Decolonizing the Westernized university. Lexington Books.
Gutas, D. (2001). Greek thought, Arabic culture: The Graeco-Arabic translation movement in Baghdad and early Abbasid society. Routledge.
Hall, S. (1997). The spectacle of the "Other." In S. Hall (Ed.), Representation: Cultural representations and signifying practices (pp. 223–290). Sage.
Iftikhar, L., & Sadia, S. (2025). Edward Said and Orientalism: A critical analysis of Western scholars and writers. Jihāt-ul-Islām, 18(2).
Halliday, F. (1993). Orientalism and its crisis. British Journal of Middle Eastern Studies, 20(2), 145–163.
Hussein, A. A. (2004). Edward Said: Criticism and society. Verso.

İnalcık, H. (2002). Hermenötik, Oryantalizm, Türkoloji. Doğu-Batı, (20), 13–39.
Iskandar, A., & Rustom, H. (2010). Edward Said: A legacy of emancipation and representation. University of California Press.
Jones, W. (1786). The works of Sir William Jones. G. G. J. and J. Robinson.
Kircher, A. (1678). Oedipus Aegyptiacus. Ludovicum Grignanum.
Lennon, J. A. (2004). Irish Orientalism: A literary and intellectual history. Syracuse University Press.
Lewis, B. (1993). Islam and the West. Oxford University Press.
Little, D. P. (1979). Three Arab critiques of Orientalism. The Muslim World, 69(2), 110–131.
Loomba, A. (2005). Colonialism/Postcolonialism (2nd ed.). Routledge.
Macfie, A. L. (2002a). Orientalism. Longman.
Macfie, A. L. (2002b). Orientalism: A reader. Edinburgh University Press.
Mallette, K. (2005). Orientalism and the nineteenth-century nationalist: Michele Amari, Ernest Renan, and 1848. Romantic Review, 96(2), 233–252.
Mitchell, T. (1988). Colonising Egypt. University of California Press.
Mudzakkir, A., Syamsudduha, S., Half, A., & Suarni, S. (2024). History of the development of Orientalism: Its influence on the modern Islamic world. Journal of Indonesian Islamic Studies, 4(1), 51–58.
Nash, G. (2005). From empire to Orient: Travellers to the Middle East, 1830–1926. I. B. Tauris.
Quijano, A. (2007). Coloniality and modernity/rationality. Cultural Studies, 21(2–3), 168–178.
Richardson, M. (1990). Enough Said: Reflections on Orientalism. Anthropology Today, 6(4), 16–19.
Richardson, M. (2000). Enough Said: Reflections on Orientalism. In A. L. Macfie (Ed.), Orientalism: A reader (pp. 208–216). Edinburgh University Press.
Ruzibaev, D. D. (2025). Historical genesis of Western Orientalism. Frontline Social Sciences and History Journal, 5(10), 22–25. https://doi.org/10.37547/social-fsshj-05-10-04
Said, E. W. (1978). Orientalism. Pantheon Books.
Said, E. W. (2003). Orientalism. Vintage Books.
Sardar, Z. (2002). Orientalism: Concepts in social sciences. Viva Books Private Limited.
Shabanirad, E., & Marandi, S. M. (2015). Edward Said's Orientalism and the representation of Oriental women in George Orwell's Burmese Days. International Letters of Social and Humanistic Sciences, 60, 22–33.
Shafiq, M., & Khan, M. I. (2021). Notion and features of Orientalism in historiography. Pakistan Social Sciences Review, 5(4), 779–790.
Shohat, E., & Stam, R. (1994). Unthinking Eurocentrism: Multiculturalism and the media. Routledge.

Vorderstrasse, T. (2023). Explaining the meaning of the words “Orient” and “Oriental.” News & Notes, (254). Institute for the Study of Ancient Cultures, West Asia and North Africa, University of Chicago.
Voltaire. (1769). L’Ingénu. Estienne et Duchesne.
Williams, P., & Chrisman, L. (Eds.). (1997). Colonial discourse and post-colonial theory: A reader. Harvester Wheatsheaf.
Yancy, G. (2004). What white looks like: African - American philosophers on the whiteness question routledg .